

## النقل إلى الصعيد في الشعر الحديث

كان الصعيد في الماضي البعيد هو مصر الحقيقية . فقد كان عظماء حكام مصر من أهل النوبة في العصر الفرعوني وما تزال المعابد في أسوان وأبي سمبل والأقصر وسوهاج أدلة شامخة تتحدى الزمن لتثبت أن فجر الحضارة المصرية بزغ من الجنوب . ولما تولى مينا - ابن سوهاج - حكم مصر نقل عاصمة ملكه من طيبة إلى منف ولقب بموحد القطرين .

وعاشت مصر كلها في عهود الرومان والفرس والمسلمين دولة واحدة فلما جاء عصر محمد علي أولى محمد علي اهتماماً واحداً لكل مصر فقد كان حاكماً عبقرياً سابقاً لعصره . ولكن أحفاده فسدوا بعده فساداً كبيراً ، وبدأ اهتمامهم ينصب على الشمال - حيث أملاكهم - دون الجنوب فبدأ الصعيد يتدهور شيئاً فشيئاً إلى أن جاءت ثورة يوليو فقضت على البقية الباقية من الصعيد فأنشأت مئات المصانع في القاهرة والإسكندرية ومحافظات الدلتا .

وأنشأت في الصعيد بضعة مصانع للسكر ازدادت معها المساحات المنزرعة قصباً لتشغيل تلك المصانع ، والقصب يستمر على الأرض سنة أو سنتين وربما أكثر مما أتاح الفرصة للإجرام وحوادث النهب والسلب والثأر وتجارة السلاح والمخدرات أن تزدهر وتنمو وتؤتي أكلها : دماراً وتخلفاً وجهلاً ومرضاً ، ولما جاء السادات إلى الحكم فاقت حدة المشكلة كل احتمال ، فقد أنشئت في عهده القليل ( ١١ سنة ) عشر جامعات في الدلتا مقابل نصف جامعة للصعيد كله . وفي عهده بدأت سياسة

الانفتاح الاقتصادي التي ترتب عليها إنشاء مدن عمرانية جديدة مثل السادس من أكتوبر والعاشر من رمضان والخامس عشر من مايو . . إلخ .

واكتظت تلك المدن الجديدة بالمصانع التي أنشأها المستثمرون في إطار سياسة الانفتاح الاقتصادي التي أدت إلى نمورأس المال الخاص وانقضاضه على الاقتصاد القومي .

وقد ظل الجنوب يزداد فقراً ، والشمال يزداد غنى إلى أن جاء حسني مبارك إلى الحكم في أعقاب اغتيال السادات عام ١٩٨١م ، فبدأ يلتفت إلى ما حاق بالصعيد من ظلم لا سيما بعد أن تزايدت موجات العنف السياسي في الصعيد تزايداً ملحوظاً ابتداءً من أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات مما جعل نظام الحكم يدرك كمّ المعاناة التي يعيشها الجنوب ، فبدأت السياسات التنموية تتجه جنوباً بتوجيه مباشر من الرئيس مبارك فتحسنت البنية الأساسية تحسناً ملحوظاً وإن كان ذلك لم يستطع تعويض مئات السنوات من القهر والإذلال والتجويع والإرهاب الذي مورس ضد الصعيد على مدى القرنين الماضيين أو أكثر منهما قليلاً .

وفي معظم الأحوال كان الفكر الإداري السائد ، الذي يدعمه إعلام منحاز فاسد ، ينظر إلى الصعيد على أنه جزء دخيل على الوطن وكان نقل الموظف المشاغب إلى الصعيد عقوبة قاسية لا يلقاها إلا نوحظ كنود .

وأول ما يطالعنا في هذا المضمار قصيدة اشتهرت لحفني ناصف قالها بمناسبة نقله إلى محافظة قنا وبعث بها إلى وزير الحقانية ( العدل ) الذي نقله إلى

قنا استجابة لرغبة اللورد كرومر الذي استفزه تشجيع حفني ناصف لمشروع إنشاء الجامعة المصرية عام ١٩٠٨م وما أبداه شاعرنا من حماس تمثل في تبرعه بالمال والتدريس في الجامعة الوليدة التي كانت أمل شعب مصري إعداد جيل من قادة التحرير والتنوير.

وفي مطلع هذه القصيدة يوجه الشاعر حفني ناصف ساخراً الشكر المزدوج للوزير على هذا النقل الذي رآه ترقية له فيقول :

رقيتني حساً ومعنى      فلفضلك الشكر المثني

ثم يوازن الشاعر بين الجنوب والشمال ، أو بين قنا والقاهرة إن شئت الدقة فيجعل كل عيوب قنا مزايا ومن ذلك تلك الأبيات الشهيرة التي يحفظها أهل قنا حتى الآن :

قالوا شخصت إلى "قنا"      يا مرجباً "بقنا" و"إسنا"

قالوا سكنت السفح قلـ      تـ وحبذا بالسفح سكني

قالوا قنا حـرُّ فقلـ      ت وهل يُردُّ الحُرُّ قنا؟

ثم يثني الشاعر خيراً على الحرارة ويرى فيها سر الحياة ، فبالحرارة المتولدة عن احتضان الدجاجة بيضها تتولد الحياة في البيض الدافئ ، والطيور التي يعضها ألم البرد فتكمن في أعشاشها ، تنطلق مغردة مرفرفة مع انتشار الدفاء ، والأنهار تفيض صيفاً فتغذي النبات والإنسان :

سر الحياة حرارة      لولاه ما طير تغنى  
 كلا ولا زهر تبس      م لا ولا غصن تنى  
 والحى ببدء حياته      بعد التزام البيض حضنا  
 تدفق الأنهار من      حر وتزجي الريح مزنا

ثم يصف حفي ناصف حياة المدن الشمالية التي كان يعيش فيها بأنها حياة باردة ، يزيد من كآبتها أولئك الصحب الثقلاء الباردون ، وما في حياة البرد والرطوبة من انكماش وبحث عن الأغطية والدثور :

ها قد أمنت البرد وال      برداء والقلب اطمأنا  
 ووقيت أمراض الرطو      به واستراق الريح وهنا

ثم يصف ما في حياته الجديدة في " قنا " من حرية فه ويلقى الهواء دون خوف من برودة أو رطوبة ، ثم إن حياته الاقتصادية ازدهرت فتوفر ماله الذي كان ينفقه في الترف في الشمال :

ألقى الهواء فلا أها      ب لقاءه ظهرأ وبطنا  
 وأنام غير مدثر      شيئاً إذا ما الليل جنا  
 قد خفت النفقات إذ      لا أشترى صوفاً وقطنا  
 وقّرت من ثمن الوقو      د النصف أو نصفاً وثماننا  
 فالشمس تكفل راحتي      فكأنها أمي وأحنى

يقول الشاعر محمود غنيم [ في كتابه عن حفني ناصف في سلسلة أعلام العرب ] معلقاً على هذه القصيدة إن حفني ناصف قلب مساوئ "قنا" محاسن ومفاتن ، ففيها يرتفع مكانه ، حتى تكون رؤوس حساده أدنى من قدميه ، وفيها يرد ماء النيل صافياً قبل أن تلوثه أفواه الشارين من أهل القاهرة ، وفيها يتمتع بالجني مبكراً قبل أن يتمتع به القاهريون .

أما حرها اللافح فهو سر الحياة كلها ، وبه أخذ مناعة ضد البرد والرطوبة وما يسببانه من أمراض ، ثم هي مدينة منقطعة ، بيد أن انقطاعها نعمة لا نقمة فهو يحمله على الادخار حيث لا مصارف للنقود ، فضلاً عن أن حرارة جوها أغنته ليلاً عن الغطاء ، ونهاراً عن مضاعفة الكساء ، ووفرت عليه ثمن الوقود وفيم الوقود ومائها ساخن ، وجوها فرن ؟ ثم لا يضر قنا أنها بلد ريفية لا حاضرة كالقاهرة فهو فيها علم مشهور ، وفي القاهرة نكرة مغمور . . إلى آخر ما أورده مما يدور في هذا الفلك .

إن حفني ناصف في هذه القصيدة سلك سبيل أبي الحسن الأنباري في رثاء أبي طاهر بن بقية الذي قتل مصلوباً ، فاتخذ الشاعر من مظاهر صلبه أسباباً لرفعة شأنه وعلو مكانه :

علو في الحياة وفي الممات	لحقُّ أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا	وفود نَدَاك أيام الصَّلَات
كأنك قائم فيهم خطيباً	وكلهم موقيام للصلاة

إلى آخر ما ورد في هذه القصيدة مما يحبب الصلب إلى الأحياء حتى قيل  
إن القاتل ود لو كان هو المصلوب ، وفاز بهذه القصيدة .

وقد لقيت قصيدة حفني ناصف خطأً واسعاً من الشهرة فعارضها الكثيرون  
فعندما نقل الشاعر الفكاهة عبد المجيد طه إلى مدينة " طما " ثم إلى قرية " مشطا "   
بمحافظة سوهاج قال قصيدة يحتذي فيها قصيدة حفني ناصف وزناً ومعنى إلا أنه  
غير القافية فقال :

قالوا: نُقلتَ إلى "طما" يا مرحباً "بطما" و"مشطا"  
قالوا: أكلتَ المشَّ قلـتْ وجذا بالمشَّ لهطا

وفي الخمسينيات من هذا القرن أسهمت تلك القصيدة في إحياء فن  
النقائض في شعرنا المعاصر فقد نشرت مجلة الثقافة في العدد ٧٠٧ بتاريخ ١٤ يوليو  
١٩٥٢ م قصيدة للشاعر الباحث الدكتور / محمد رجب البيومي ، وكان آنذاك  
مدرساً بالإسكندرية فنقلوه إلى الصعيد ، وقد مهد البيومي لقصيدته بقوله : "يكاد  
أدب النقائض يلفظ أنفاسه في الشعر المعاصر ، وهذه محاولة تذكر بها الشعراء  
وقد رأيت أن أناقض قصيدة حفني ناصف :

رقيتني حسّاً ومعنى فلفضلك الشكر المشى

لظروف مشابهة لمناسبة التي نظم فيها حفني قصيدته وإن اختلف المعنى  
وبُعد الاتجاه "

وفي هذه القصيدة يخاطب البيومي صاحب قرار نقله إلى الصعيد شاكياً  
معاتباً متظلماً مما لحقه من غبن ، ثم يصف الصعيد بأنه سجن لا يمكنه من وصال  
أحبابه ، فيقول :

أذيتني حسّاً ومعنى	وغبنتني في الناس غينا
وشفيت مهجة حاسد	باتت تمور علي ضغنا
قد كنت أعلى منه مر	تبه فصرت أقل شأننا
أغشى الصعيد مروعاً	فأجوب بعد السهل حزننا
بلد إذا حلّت به	قدماك قلت : حللت سجننا
إن رمت وصل أحبتي	شاهدت دون الوصل بونا
جهد جهيد للقطا	رُبِعِيده سَأمان مُضني

ثم يوازن بين طلابه الصاعدة الذين يراهم حُشناً أجلاًفاً أغبياء وبين طلابه  
السكندريين في منطقة " الرمل " بالإسكندرية الذين أترفهم النعيم فجعل منهم ناساً  
رهاف الحس أذكيا العقول فيقول :

أرنبو لطلابي فأبـ	صرهم جفاة الذوق خشنا
خببت العقول كأنها	شمس كساها الأفق دجنا
لا مثل إخوان لهم	" بالرمل " يتقدون ذهننا
تurf الحياة أمدهم	بالذوق فاتخذوه فنا

ثم يناقض البيومي حجج حفني ناصف التي أشرنا إليها سابقاً ، تلك الحجج التي أحال بها حفني ناصف عيوب الصعيد مزايًا ، مثل أهمية الدفء والحرارة في حياة البشر ، وقلة الإنفاق ، وجمال الطبيعة ، فيرى البيومي في هذا كله عيوباً لا تطاق ، فهو يقول :

قالوا شخصت إلى قنا	لا مرحبا بقنا وإسنا
يكسو المهجير بها الوجو	ه دجىَّ يميل الخُرَّ قنَّا
يكفيك أن الإنس صا	روا من سواد اللون جنا
أنا لا أريد معيشة	قد بدلت طعاماً ولونا
قالوا : نزلت السفح قلـ	ت : ومن يطيق السفح سكنى ؟
أنالست ذا غنمٍ لكي	أرعى به معزاً وضأنا
قد قلت النفقات لـ	كن قلّ جسمي الهشُّ وزنا
ما حيلتي إن لم أجد	شيئاً يباع بها ويُقنى
قالوا : اكنزت المال إذ	لا تشتري صوفاً وقطنًا
أیظل جسمي عارياً	بين الورى ظهرأً وبطنًا
هذا تحرص واهم	بات الدليل لديه ظنا

فهو لا يريد الحرارة لأن حياته السابقة في الإسكندرية جعلته يأنس بالشتاء وينفر من الحرّ ، وهو في الصعيد لا يرى الشتاء إلا شهراً واحداً ، ثم يستحيل الجو بقية العام حراً قائظاً يزهق الأرواح ، ويبعث الخمول في النفس فيركن الناس إلى

بيوتهم فراراً من الحرّ، ولا يجدي الماء شيئاً في دفع غوائل العطش الذي يفتك بالحلوق ، ذلك أن الماء نفسه ساخن لشدة القيظ الذي يرهق الإنسان والحيوان والنبات :

قالوا الحرارة في الشتا	ء تنيل جسمك ما تمنى
تأتي السرير بلا غطا	ء إن رأيت الليل جنا
وتبيت ليلك آمنا	شر البرودة مطمئنا
قلت الشتاء يقيم شهراً	بين أظهرنا ويفنى
ويطول قيظ الصيف حتـ	ى يزهدق الأرواح منا
يوحي الخمول فكل جوا	ب تراه قد استكتنا
تخذ الهجير أسنة	تموى فلا تجد المجنا
نار إذا انقادت مشا	علها تحيل الصخر عهدنا
جبل المقطم صارخ	يشكو اللظى ويئن أنا
ويح الحلوق الظامنا	ت بأي كارثة ستتمنى
ترد الكؤوس لترتوي	برحيقها فتضن ضمنا
وتطير صوب الماء وهـ	و مثلج فتراه سُخنا
القيظ ألهبه فلم	تبصر به للرّي معنى

ثم يصف البيومي آثار ذلك القيظ الشديد على الصعيد وكيف أن جلب الخراب إليه فالصحراء تراها قد لفّها ذلك القيظ ذات اليمين وذات الشمال

ويصف البيومي الصعيد في هذه الحالة فيقول أنك إذا أتيت الحقول التي دائماً تعج بالطيور والزهور والأشجار أما هنا في الصعيد فإنك لا ترى في الحقول طيراً ولا زهراً ولا أغصان شجرٍ كل ذلك من آثار ذلك القيظ الشديد والذي يعاني منه كافة الموجودات ، فيقول :

جلب اليباب على الصعيد	د وزاد عنه الخير غبنا
فانظر تر الصحراء قد	حفت به يسرى ويمنى
سفح مديد غير أن	ك لا ترى بالسفح حسنا
تأتي الحقول الشاسعا	ت فلا ترى طيراً تغنى
كلا ولا زهراً تبس	م لا ولا غصنا تننى

ثم بعد وصفه ذلك للحقول والصيف في الصعيد ينتقل الشاعر إلى عقد مقارنة من تلك المقارنات التي تكثر في هذه القصيدة ويقارن بين ليله في الصعيد وكيف يقضيه بملل ، لأنه لا يجد ما يرفه به عن نفسه من نوادٍ ، وبين ليل الإسكندرية الذي يمر كنسيم الليل الندي ويتذكر الإسكندرية فيقول :

إن طال ليلى لم أجد	ملهى يُتيح الأنس وهنا
أي النوادي فيه أقم	ضي الوقت مبتهجاً وأنى؟
فأبيت لا الأحشاء ها	دئة ولا الأجنان وسنى
متملماً فوق الفرا	ش ، وخافقي كلف معنى
أتذكر الإسكندرية والدمو	ع تفيض مزنا

وأصبح مشتاقاً كطيء — رهاجه شجن فحننا

وفي نهاية القصيدة يوجه كلامه إلى حفني ناصف فيقول له إنك بكلامك عن الصعيد غيرت الحق وأن شعرك هذا كان متجن بوصفه عيوب الصعيد وجعلها مزايا ، ويقول له أما أنا فقد صدقت في قولي ونقلت صورةً طبيعية عن حياة المعاناة في الصعيد :

حفني قلبت الحق مج — تترئاً فدعنا منك دعنا  
قد نأح قلبك مُعولاً — لكن شعرك قد تجننى  
أما أنا فصدقت في — ما قلت إحساساً ومبنى

ثم نشرت مجلة الثقافة في العدد ٧١٠ بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٥٢م رداً على هذه القصيدة قدمت له بقولها : " كتب الأستاذ الأديب محمد رجب البيومي في مجلة الثقافة بالعدد ٧٠٧ قصيدة يناقض بها قصيدة المغفور له حفني بك ناصف فكتب الأستاذ الشاعر الأديب محمود محمد بكر هلال قصيدة أخرى يناقض بها قصيدة الأستاذ البيومي . . ونحن نشرها هنا مضيئاً في هذه المساجلة الأدبية الطريفة ، ونستسمح حضرة الأستاذ هلال عذراً إذ رأينا أن نقتطف منها أو نقتطف عنها بعض زوائد رأينا اللياقة تضيق بها ، وإن كانت رائعة ناضرة ، قال الأستاذ هلال :

" كتب الأستاذ الأديب محمد رجب البيومي المدرس بأبي تيج الثانوية في مجلة الثقافة العدد ٧٠٧ بتاريخ ١٤/٧/١٩٥٢ ما يأتي :

" يكاد أدب النقائض يلفظ أنفاسه في الشعر المعاصر ، وهذه محاولة نذكر

بها الشعراء ، وقد رأيت أن أناقض قصيدة حفني ناصف :

رَقَيْتَنِي حَسَّاءَ وَمَعْنَى      فلفضلك الشكر المثنى

لظروف مشابهة لمناسبة التي نظم فيها حفني قصيدته وإن اختلف المعنى

ويعد الاتجاه "

أورد الأستاذ قصيدة تقارب الخمسين بيتاً . ناقض فيها الأديب الكبير

المرحوم حفني ناصف ولقد رأيت فيها تحاملاً على الفقيد من غير حق ، وعمزاً لمكانه

من غير دليل ، ونكراناً للمعروف والجميل فقررت مناقضته فقلت [ والكلام للأستاذ

بكر هلال ] على لسان الصعيد :

قرأ الصعيد قصيدة      بلقاء من رجل تجنّى

واهتاجه النكران ثم      انساب يزجي الرد وزنا

يا منكراً فضلي عليـ      ك ومشبعي ذما وطعنا

ما أنت أول ناكر      متقول قلب المجنا

ما كان ضرك لو حفظ      ت العهد والإحسان عنا؟

قد جاء قبلك ناصف      ذكّر الحقيقة مطمئنا

حتى أتيت تذمني      يأبها الرجب المكنّى

ويبدأ الشاعر بكر هلال رده وتفنيده لحجج الشاعر رجب البيومي بتضمين بيته الذي استهل به قصيدته وهو قوله :

أذيتني حساً ومعنى      وغبتني في الناس غبنا

ثم يقول لصاحبه إنك أنت الحسود الذي كشفت عن بغضك للصعيد وأهله بلا مسوِّغ . وأنت جئت الصعيد فلم ينقص قدرك ولم يفرح بنقلك إليه حسادك وشانئك لأن نقلك للصعيد فيه رفع لقدرك لأنك جئت إليه مرقى ترقية وليس مغضوباً عليك فيقول :

أذيتني حساً ومعنى      وغبتني في الناس غبنا

وكشفت بغضة حاسد      باتت تمور على ضغنا

أنكرت إحساني إلي      ك وقد همى برأ وحسنى

ما كنت أعلى من حسو      دك رتبة وأجل شأننا

بل جئتني فعلوت قد      رأ والمقام بك اطمأنا

أو ما كفى ذمي وأت      ي صرت للغرباء سجننا ؟

حتى تذم الساكني      ن وتملأ الآفاق هجنا

ثم يتهم الشاعر صاحبه بأنه ما غضب على الصعيد إلا لأن طلابه قصرُوا في تغذيته بالجبن والغسل ، ويرد على صاحبه موازنته بين طلاب الشمال وطلاب الجنوب ، فيرى أن طلاب الصعيد أكثر ذكاء فقد نبغ منهم المشاهير مثل نجيب الهاللي باشا الذي كان وزيراً ورئيس وزارة سابقاً ، ومنهم محمد محمود باشا

وسينوت حنا باشا من أبطال ثورة ١٩١٩ م ، ويسمى الشاعر من مشاهير الصعيد أيضاً مرتضى المراغي باشا وزير الداخلية نجل الشيخ المراغي رحمه الله ، ويسمى أيضاً سفيراً شهيراً اسمه عمرو فيقول :

هل قصر الطلاب حتى	لم تذق عسلاً وجبناً؟
ليسوا وربك مثلها	ترمي جفأة الذوق خشناً
لكنهم نسل الأبا	ة فلا ترى خوراً ووهناً
لم يعدهم ترف الحيا	ة تخشأ تدعوه فنا
وعقو لهم أصفى وأنـ	قى ما يكون المرء ذهناً
من هؤلاء الناس "ويصا"	ثم "سينوت بن حنا"
منهم "نجيب" وابن "محمود"	وخير الناس شأننا
منهم سفير ألمعي ير	جح العقلاء وزنا
عمرو الذي بهر المالك	ذوقه حساً ومعنى
و"المرتضى" شبل الإما	م ومن سما معنى ومبنى

ثم يتوجه بكر هلال لصاحبه متسائلاً : إذا كنت لم ترض عن حياتك في الصعيد فلماذا لم ترفض مجيئك إليه من البداية ؟ أولم تكن حياتك في قرينتك (الكفر الجديد ) كحياة أهل الصعيد مع المعز والغنم ؟ :

إن كنت لم ترض المعى	شة بينهم عملاً وسكنى
لم تغادر أرضهم	وتخفف البلواء عنا؟

غمط الحقوق هو العقو      ق وليس هذا القول منا  
السفح خير من ثرى الـ      كفر الجديد وما أجنا  
قد قلت حقاً بعدما      سطرت في النكران مينا  
[ أنا لستُ ذا غنم لكى      أرعى به معزاً وضأنا  
قد قلت النفقات لـ      كن قل جسمي الهش وزنا ]

ثم ينعي بكر هلال على صاحبه حديثه عن توفير النفقات في الصعيد ، فيرى  
أن صاحبه بخيل أزرى به البخل ، فالنقود حين تدخل جيبه لا تفارقه مرة أخرى

أنى عرفت الصرف حتى      سى قلت النفقات أنى ؟  
تجد الدراهم بين كى      سك في الجيوب لها المجنا  
أنت الحفنى بجمعها      تلقى بك الكلف المعنى  
للقرش عندك دولة      تعنو لها قلبا وعينا  
تدعو الحياة إلى الطعا      م أو الكسى فتضن ضمنا  
إن البخيل يرى الضرو      رة إن دعت ترفاً وظنا

ثم يدافع بكر هلال عن الحرارة مقابل ما في المصايف من برودة فيرى أن  
الحرارة مع الأصالة خير من لطافة الجومع التحلل الأخلاقي وما يبدو على المصايف  
من تبذل وتبرج وعري ، فيقول :

أما التشكى من حرا      رات تحيل الجو سخنا  
فانظر ميامي أو فرنسا      والدنا ركننا فركنا

تجد الحرارة أسقطت      أثمار غصن قد تحنى  
والناس قد خرجوا عرا      ة كلهم ظهراً وبطننا  
في لندن مهد البرو      دة أنت الأنفاس أننا  
والحر قد كظم النفو      س فلم تجد برداً ومزنا

وترتفع نبرة الشاعر بكر هلال وتزداد حدته ، فيرد على ما جاء في قصيدة صاحبه من معايرة لأهل الصعيد بسواد ألون وجوهم ، فيقول : إن اللون الأسود ليس عاراً لصاحبه ، ولكنه دليل على نقاء الأصل ، وطهر السلالة ، وشهادة لأصحابه بأن دماءهم عربية خالصة لم يتسلل إليها دم الغزاة الأوربيين كما هو الحال في شمال البلاد في تلك المدن التي استعمرها الأوربيون عهداً طويلاً :

واللون ليس بسبة      تزري بنا في الناس شأننا  
فهي الشهادة أننا      من نسل وإدما تدنى  
لم تحتلط بدمائنا      ألوان غازٍ قد تجنى

ويعاتب الشاعر الصعيدي صاحبه ويرميه بالكذب والافتراء حين يدعي أن الصعيد خالٍ من مظاهر الجمال ، وينبّهه إلى جمال الطبيعة في الصعيد من غناء الطير ، وانسياب مياه النيل رقراقة صافية ، ويقول إن ما رآه صاحبه من كآبة في الصعيد ما هو إلا ترجمة لما في نفسه من مرض وما في قلبه من غرض :

أحمد شوّهت وجـ      ه الحق بل وكسوت دجنا  
[ تأتي الحقول الشاسعا      ت فلا ترى طيراً تغنى



[ إن طال ليلك لم تجد  
 أي النوادي فيه تقضى  
 عجباً فهل أنت الذي  
 أو أن أصغر منى  
 بل أنت مالك والندي  
 لم تُلف إلا قابعاً  
 [ أتذكر الإسكندرية  
 لم لا تحن إلى مصا  
 ذكرتني مثلاً وخي  
 لما خلت من شعرها  
 صارت بشعر قريبة  
 وتبيت تمتدح الرؤ  
 هذي وربك سقطة  
 ملهى يتيح الأنس وهنا  
 في الوقت مبتهجاً وأنى؟  
 يقضي- اللهي لو عاش قرنا؟  
 يرضى اشتراك مطمنا  
 إذا تعذر أو تسنى؟  
 في كسر بيتك مستكنا  
 والدموع تفيض مزنا ]  
 طب كفرم لتطيب سكنى؟  
 ير القول ما يبقى ويُننى  
 وتشوهت شكلاً وسنا  
 تحتال كالصب المعنى  
 س وقلبها بالشعر غنى  
 كبرى ترد الحرقنا

ثم يوازن شاعر الصعيد بين موقف البيومي وموقف حفني ناصف من  
 الصعيد فيرى في موقف حفني إنصافاً وتقديراً وصدقاً ، ويرى في هجاء البيومي  
 للصعيد افتراءً وظلماً :

حفني شدا بالحق معاً  
 قدهش لما عينو  
 ترفاً فدعنا منك دعنا  
 ه قاضياً بقنا وإسنا

أما خيالك فاستطأ ل وشعرك الباغي تجنئى  
 لما ارتقيت مدرسا أعلى وصرت أجل شأنأ  
 "أبَّيْحُ" فيما أرتئي لا تستحق أذى وغبنا  
 فلم التقول والتطا ول ثم كنتم ثم كنا؟

ثم يعود شاعر الصعيد إلى هدوئه فيذكر لصاحبه ما بين الشمال والجنوب  
 من أخوة فالجميع يشربون ماء النيل ويعيشون على أرض الوطن من أقدم العصور  
 أخوة متحابين في السراء والضراء :

أنسيت أنا إخوة لولا التفرق ما وهنأ  
 النيل يجمع بيننا ويوحّد الأرواح منا  
 فمتى نصد الطامعي من وندفع الدخلاء عنا؟  
 تلك الحقائق ما عدا ها في الورى يبلى ويفنى  
 لوصانها الكتاب والشعراء في الوادي استرحنا

الختام :

وتبقى كلمة نقولها في الختام وهي أن ما ورد في القصيدتين لم يعكس في  
 الحقيقة عداوة حقيقية ، وإنما تعكس روح مودة صافية ربطت بين أدباء جيل  
 الخمسينيات ، وما يزال الشعاران العلامة الدكتور رجب البيومي العميد الأسبق  
 لكلية اللغة العربية بالمنصورة ، والشاعر الباحثة بكر هلال المدرس الأسبق بجامعة

الكويت ، ما يزالان – وهما الآن في الثمانينيات من عمريهما المديدين إن شاء الله – يتبادلان الود والتواصل .

الذقل إلى الصعيد عند طاهر الجبلاوي :

كان بين العقاد والشاعر طاهر الجبلاوي ( ١٨٩٨ - ١٩٧٩ م ) صداقة حميمة ، وعلاقة أخوية وثيقة ، تجلت أصدائها في دواوين العقاد ، وفي مذكرات طاهر الجبلاوي التي نشرها بعنوان ( ذكرياتي مع عباس العقاد ) . والتي ذيلها بصور لمجموعة من الرسائل الشخصية التي كان العقاد أرسلها إليه في المحافظات المختلفة التي كان الجبلاوي يُنقل إليها من حين لآخر في عمله الحكومي وهي ( الفيوم ، وأسيوط ، وسوهاج ، وقنا ) .. ويبدو أنه كان مغضوباً عليه من رؤسائه إذ كان النقل إلى الصعيد في تلك السنين عقوبة من العقوبات التي ما كان أكثر ما توقع الموظفين بعامة والمدرسين بخاصة ، وقد أشار إلى هذا الشاعر حفني ناصف في قصيدته الشهيرة :

قالوا : نُقلتَ إلى قنا يا مرحباً بقنا وإسنا

وعارضها الشاعر المعاصر عبد المجيد طه حين نقلوه ، إلى مدينة طما وقرية مشطا بمحافظة سوهاج فقال :

قالوا : نُقلتَ إلى طما يا مرحباً بطما ومشطا

قالوا : أكلتَ المشّ قلـتْ وجبذا بالمشّ لهطا

ويبدو أن طاهر الجبلأوي كان قد طلب إلى العقاد التوسط له لدى كبار موظفي الوزارة ليعيدوه إلى القاهرة فينعم بحافلها الأدبية وندواتها الثقافية وأمسياتها الشعرية التي عرفته شاعراً فحلاً في أواسط هذا القرن .

والذي يؤكد أنه طلب إلى العقاد التوسط تلك الأبيات التي أرسلها إليه وهو في أسيوط يقول فيها :

هل أنصفوا الجبلأوي	وهو بأسيوط ثاوي ؟
أعيش بين أناس	هم آية في المساوي
مُصَبَّحاً ومُمسَّي	منهم بذب عاوي
واللؤم والشر — فيهم	أضعاف ما قال راوي
أنجد أخاك فإنني	على شفير هاوي

ويرد عليه العقاد قائلاً إنه كلم له قوماً في شأن نقله منهم الأستاذ محمود رشيد ويبدو أنه كان صاحب مركز في الوزارة . فلم يفعلوا شيئاً . فعليه أن يصبر إنذاراً على ما هو فيه [ وإذا هذه تساوي في لهجة القاهرة كلمة : بقى - بفتح القاف - التي استخدمها العقاد هكذا وهم ينطقونها بأه ] يقول العقاد :

كلمت في النقل قوماً	منهم رشيد وخواوي
وممنهم مستقيم	فيمما يقول ولاوي
فما أفادوا بشيء	إلا عريض الدعواوي
فاعد بقا واصطليها	في الحر والحر شاوي

اسمها جريدة الكلب :

قصة جريدة فكاهية مجهولة!!

يرجع تاريخ الصحافة الفكاهية في الوطن العربي إلى أواخر القرن التاسع عشر وبالتحديد حين صدرت بمصر فى عهد الخديوى إسماعيل مجلة (أبونضارة) التى أصدرها يعقوب صنوع فى سنة ١٨٧٦ وكان اسمها فى البداية (أبونضارة زرقاء: جريدة مسليات ومضحكات) وكان توزيعها يزيد على عشرة آلاف نسخة وهو رقم كبير جداً بمقاييس تلك الأيام.

ثم أصدر عبد الله النديم فى ٦ يونيو سنة ١٨٩١ صحيفة "التنكيت والتبكيث" وهى صحيفة أدبية تهذيبية كانت تتناول النقد بطريقة ساخرة وتضمنت مقالاته بها الدفاع عن الفصحى وبيان أهميتها والدعوة إلى المحافظة عليها وكان يكتبها تحت عنوان "أيها الناطق بالضاد" ولقد استمال أسلوب الجريدة القراء وشد انتباههم وزاد الصحيفة شهرة مخاطبتها للعامّة والنزول إلى مستواهم الفكرى.

ومع مطلع القرن العشرين صدرت مجلات وصحف فكاهية أخذت تتكاثر شيئاً فشيئاً واستقطبت أقلام مشاهير الأدباء وفى مقدمتهم بيرم التونسي وحسين شفيق المصرى وغيرهما ممن اتخذوا الطابع الفكاهى علامة مميزة لأسلوبهم فى مخاطبة القارئ.

وتوالى صدور المجلات الفكاهية فصدرت (حمارة منيتى) لصاحبها محمد توفيق سنة ١٩٠٠م وكانت سياسية فكاهية. وفى سنة ١٩٠٧ أصدر أحمد حافظ عوض مجلة (خيال الظل\* وأدخل فيها الصور الكاريكاتورية ناقدة للحكومة والحكام، وتتعاقب المجلات الفكاهية فتصدر مجلة (السيف) ثم "السيف والمسامير" لتبرع فيما يطلقون عليه "القفشات" حول السياسة والحكم والمجتمع وبعض الشخصيات البارزة وقتذاك، وقد أصدرها حسين على وأحمد عباس.

ثم صدرت أشهر المجلات الفكاهية وهى مجلة "الكشكول" التى ظهرت سنة ١٩٢١ لصاحبها سليمان فوزى، وقد اهتمت بالفكاهة السياسية.. ولقد وقفت لحزب الوفد بالمرصاد تهاجم الزعيم سعد زغلول وتنقد سياسة الوفد بالصور الكاريكاتورية والمقالات والمقامات.

ويقول الأستاذ عبد الله أحمد عبد الله المؤرخ الفنى المعروف بـ "ميكى ماوس" متحدثاً عن مجلات (البغغان- السيف- الناس- المسامير): "أنها كلها كان يحررها الأستاذ حسين شفيق المصرى وتسعفه طاقته النادرة فى الإضحاك بالقلم على تحرير ١٦ صفحة واسعة الجنبات أسبوعياً وأذكر أن موادها كانت تدور حول (حديث أم إسماعيل) - (حديث الحاج سيد)- (القهوة البلدى) (المشعلقات)- وكلها كانت أبواباً ناجحة فى وقتها، وانتقلت معه إلى المطرقة حين تولى تحريرها بعد هذه الصحف الأربع بعام أو أكثر ولقد توارثنا نحن الجيل التالى له بعض هذه الأبواب حين عملنا فى الصحافة الفكاهية وان كنا طورناها أسلوباً ومضموناً بما يلائم إيقاع العصر".

وفى عام ١٩٢٨ أصدر الأستاذ بديع خيرى مجلة فكاوية باسم (١٠٠٠ صنف) أسبوعية من القطع المتوسط فى ٢٤ صفحة. تميزت بأبيات زجلية ثابتة على غلاف كل عدد ، وفى عهد صدقى باشا عندما كان رئيساً للوزراء عام ١٩٣٠ صدرت مجلة (المطرقة) مجلة فكاوية أسبوعية من القطع الطويل فى ٨ أو ١٠ أو ١٢ صفحة أحياناً بخمسة مليمات لساناً شعبياً لحزب الوفد المعارض ، تنشر الفكاهات والأزجال والمواد الأخرى تسخر بها من صدقى باشا وحكومته وتهلّل للوفد والنحاس باشا وكان الرأى العام يتجاوب مع هذه السياسة ويرى فى المطرقة لسانه الساخر الظريف الذى يشبع رغبته فى الانتقام من عهد صدقى باشا.

فإذا انتقلنا من مصر إلى الشام وجدنا جريدة ( العرفان ) التى كانت تصدر فى صيدا لمؤسسها أحمد عارف الزين، وجريدة ( الخازوق ) التى أصدرها أيام الانتداب الفرنسى الشاعر المهندس فؤاد جرداق شفيق الشاعر جورج جرداق مؤلف قصيدة " هذه ليلتى " التى غنتها السيدة أم كلثوم.

وكانت " الخازوق " تستخدم التورية للتحريض بالمحتلين الغرباء ومن أمثلة ذلك قولها:

" علمنا بكل سرور أن صاحبة العصمة عقيلة المفوض السامى الفرنسى قد عادت من فرنسا إلى بيروت ، بعدما فرغت من زيارتها إلى الديار الفرنسية و" الخازوق " يرحب بقدوم صاحبة العصمة أجمل ترحيب"

## قصة جريدة الكلب:

غير أن جريدة " الكلب " التى أصدرها فى دمشق الأديب صدقى إسماعيل تفردت بين جميع الصحف والمجلات الفكاهية على امتداد الزمان والمكان العربيين بعدة أشياء :

أولها: أنها صدرت بدون ترخيص فقد بدأ صاحبها يخطها بخط يده من الألف إلى الياء هو جالس على المقهى ثم يوزعها على أصدقائه دون ثمن ودون اشتراكات.

ثانيه: أن جميع موضوعاتها تصاغ شعرا ، وقد ضمت موضوعاتها كل الفنون الصحفية شعرا عربيا موزونا فتقرأ فيها ( المقال الافتتاحى - المانشيت المقال الرئيسى - الطقس - كلمة العدد - مقال فى السياسة الدولية - مقال فى السياسة الداخلية - يوميات رئيس التحرير - صورة العدد - الإعلانات... وغير ذلك )

ثالثتها: أن تلك الصحيفة التى التزمت الشعر وسيلة للتعبير وطوعته ليكون وعاء لكل المواد الصحفية باقتدار بارع. لم تخرج عن حدود الأوزان التقليدية القديمة. بل وأكثر من ذلك كانت تميل إلى السخرية من الشعر الحديث وتتندر به.

وقد جمعت أعداد " الكلب " وصدرت مطبوعة طبعة فخمة ضخمة عن مطابع الإدارة السياسية فى دمشق مصحوبة بتقديم واف كتبه الشاعر الكبير سليمان العيسى.

وكان الشاعر سليمان العيسى فيما يبدو صديقاً لصاحب " الكلب " المرحوم صدقى إسماعيل. فنحن نجد فى ديوانه " الديوان الضاحك " قصيدة بعنوان " كنا فى هلسنكى " يبدو منها أن سليمان العيسى كان عضواً فى مؤتمر السلم العلمى الذى انعقد فى هلسنكى عاصمة فنلندا فى أواسط الستينيات فبعث بقصيدته تلك إلى جريدة " الكلب " باعتباره مندوباً لها فى المؤتمر ولكن الشاعر يقول فى مقدمة قصيدته وفى ثناياها أنه مندوب جريدة (ابن الكلب) بمقدمة تقول:

نحن فى منتصف الليل هنا      وضيء الشمس فى كل مكان  
نحن عند القطب لايفصلنا      عنه فى الواقع إلا فـشـختان  
إن فنلندا بلاد حلوة      وكثيرات بفنلندا الحسان

ثم تقدم القصيدة عدة لقطات للمؤتمر كتغطية صحفية شعرية لوقائعه وفعالياته فتقول بعض مقاطعها:

جاءت " ابن الكلب " من سورية      كسواها لحضور المهرجان  
أصدقاء السلم قد حلوا هنا      من أقاصى الصين حتى ميشغان

رأى عام :

أمريكا بنت كلب هكذا      أجمع الرأى ووافقنا كمان  
شردتنا وأقامت دولة      فى أراضينا كـرأس الأفعوان  
هذه قصتنا موجزة      تؤثر "ابن كلب" إيجاز البيان

فى السىاسة الدولية:

وخناق الصىن ىبدو حامياً      مع موسكو كل ىوم طوشتان  
وقفت ألبانىا بىئنها      تتحدى فرمتها لكزتان  
دور مندوب جريدة ابن الكلب:

فى مجال الفكر كانت لجتى      ها هنا ىبلغ مترى اللسان  
كلهم شمر عن ساعده      ولدىا جته أرخى العنان

وتمضى القصىدة التى كتبها سلىمان العىسى لتتحدث عن جو السلم  
ومواقف مندوبى الدول المختلفة وما أقىم على هامش الندوات من أنشطة ترفىهية  
والجوالذى تنوولت وجبات الطعام والشراب.

ونعود إلى جريدة الكلب فنختار النماذج التالىة مما نشر فى العدد ١٠٦  
تشرىن الثانى سنة ١٩٧١ م لنقرأ الركن الأدىبى من هذا العدد فنجد فىه موضوعاً عن  
النقد الأدىبى ىتناول بالسخرىة شعراء تلك المرحلة ممن عنوا بالتنظىر أكثر من  
عناىتهم بالإبداع تقول "الكلب" فى ذلك العدد :

النقد الأدىبى : الشعراء

سبحان من بذر المواهب فى الرؤوس من الولادة  
ومن النباهة والغباء المحض .. لم ىحرم عباده  
وأتى الى الشعراء ىخلع عنهم صفة البلاة  
فراهم جىلا فجىلا ىجنحون إلى الزىادة

مثل الجراد تكاثرا فكأنما تزنى الجراد  
 حسب الديالكتيك أكثرهم أقلهم إجابة  
 أذكاهم فى غير كسر النحول يخدم بلاده  
 أوفى البذاءة لفظها قد صار فى التجديد عادة  
 والمفردات لديه من رحم الضياع إلى الوسادة  
 للفن محراب ولكن حولوه إلى عيادة  
 ومن العرو ٦٢ للصابور فى ١٩٦٥/٦/٣٠ نختار ما يلي:

#### شعار العدد:

جريدة شعرية الأغراض  
 شعارها متانة القوافي  
 فى الشعر والفن وفى السياسة  
 المقال الافتتاحى "الامتحان":  
 وليس فيها أى سطر فاض  
 وحفظكم من وصمة الإسفاف  
 من دونها سوف تضيع الطاسة

يكرم الإنسان دوماً أو يهان  
 مثل صار قديماً حكمة  
 ليس من أجل التلاميذ فقط  
 كلهم ينجح فى شئ وفى  
 طالب يسقط فى الفحص وقد  
 وفتاة نجحت فى ثوبها  
 عندما يأتى أوان الامتحان  
 لم تزل تروى على مر الزمان  
 إنما تعنى فلاناً وفلان  
 آخر الأشياء يكبو ويدان  
 كان فى الشارع أذكى دنجوان  
 حاسراً تظهر منه الركبتان

ثم صارت زوجة وامتحنت  
 وفتاة تبهر العين بها  
 وإذا حادثتها ألفتها  
 ووزير ناجح في طقمه  
 وتراه غير ماشٍ حاله  
 والحكومات لها فحوص إذا  
 بعضها يسقط قومياً، وفي  
 والتي تسقط ثوريا وفي الـ

ومن العرو ١٠٤ (الساور عام ١٩٧٠):

شعار العدد:

جريدة بالفعل جد راقية

رفاقها راحوا وظلت باقية

كالريح كانوا وهي مثل الساقية

لأننا نصرها بالقافية

إعلان رسمي:

شخص هنا أعلن عن نفسه  
 وأنت قلده وكن مثله  
 فصار في مدة شهر وزيرا  
 تجد على بابك حالا خفيرا

## طلب انتساب

منصور الرحباني يتقدم بطلب انتساب إلى أسرة "الكلب":

تقدم منصور يريد انتسابه إلى "الكلب" عضواً في جريدتنا الغرا

ونفحص صوت العضو قبل دخوله فان لم يكن حلو النباح بقى برا

من "ابن الكلب" إلى منصور الحباني بمناسبة تقاعسه عن أداء واجبه

الصحفي بوصفه مراسل الجريدة في بيروت:

إلى مراسلنا في أرض لبنان وعضو أسرنا منصور رحباني

جريدة "الكلب" في الفيحاء عاتبة على تقاعسه قد مر شهران

إننا قبلناك عضواً في جريدتنا لكي بيروت تغدو صوتها الثاني

مجيء "كي" قبل بيروت هنا لغة سعيد عقل بهذا النسيج أو صاني

منصور لا تتكاسل إن أسرنا بنت الكفاح تعادى كل كسلان

نباح حضر-تكم - نعننى نشاطكم له على الصفحة الأولى عمودان

اكتب لنا، ولتكن شعرا رسائلكم فكل أنبائنا شعر بأوزان

ابدأ بأخبار أهل الفن إنهم في رأينا واحد يسوى أو اثنان

ما كل من دق طنبورا غداً علماً فيه ولا ولا كل نواح بفنان

للكلب رأى ورأى الكلب محترم في العصر- سيد درويش ورحباني

أما البقية فالرحمن يكلوهم قد هبدلونا زرافات كوحدان

نور صحيفتك الغراء واحك لنا عن السياسة برانى وجوانى

غدا سيصدر ممتازنا عدد ولا لزوم لتفصيل وتبيان  
لقد توفي صدقي إسماعيل في يوليو ١٩٧٢ وبوفاته توقفت جريدته عن  
الصدور مع أنها بقيت في الصدور كما يقول الشاعر سليمان العيسى في تقديمه  
للمجلد الذي ضم أعدادها والذي أضاف إلى تراثنا الفكاهي ثروة هائلة ما أجدرها  
بالدراسة والإنصاف.